اللحن في الوقف وأثره في تغيير معاني القرآن

أ. محمد الصالح ستي
جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

د. عبد الرحمان معاشي
جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

الملخص:

يُعرّف اللحن بأنه الإخلال والخطأ في تلاوة ألفاظ القرآن الكريم، وهو على قسمين: جلي وخفي، أما الوقف فهو قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمنا يُتنفس فيه عادة، مع قصد الرجوع إلى القراءة.

وقد عد علماء التجويد الخطأ في الوقف من قبيل اللحن الجلي، إذا ما أدى إلى إبهام معنى كلام الله تعالى أو إفساده، وهذا ما يصطلح عليه بالوقف القبيح، وهو على قسمين؛ أولا: ما لا يُفهم المراد منه لتعلقه اللفظي بما قبله، ثانيا: ما يُفضي إلى معنى فاسدٍ أو مستقبحٍ لتعلقه المعنوي بما قبله.

Abstract:

The solecism of Quran reciting is known as the breach and error in the recitation of the words of the Holy Quran. It is divided into two parts: clear and hidden, whereas the waqf is the cutting of the sound on the qur'aanic verse when it is usually breathed, with the intent to return reading.

The scholars of Tajweed have considered the error in the waqf as a clear reciting solecism, if it leads to the ambiguity of the meaning of the words of Allah or its corruption, and this is what is termed as the ugly pause (stoppage at reciting), which is divided into two parts: first: what does not understand the meaning of the verbal attachment to what preceded, second: which leads to the corrupt or repulsive meaning of moral attachment to what preceded it.

مقدمة

لقد أكرم الله تعالى نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم، وخص أمته بأعظم آية وأسمى بينة، كتاب كريم، ووحي مبين، فيه نبأ الأولين وخبر الآخرين، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والسراج المنير.

رفع الله مقامه وأعلى شأنه، فحفظه من التحريف، وصانه من التصحيف، فقال في محكم تنزيله: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر 09)، وأمر عباده أن يرتّلوه فقال: ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ (المزمل 03)، وامتدح عباده الذين يتلوه حق تلاوته، فقال: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾ (البقرة 121)، وجعل مقام الخيريّة والفلاح لمن تعلّمه وعلّمه، فانبرى لهذا المقام القراء، وتسابق لهذا الأجر الفضلاء، وبذلوا النفس والنفيس في الذبّ عن كتاب

المنارة للاستشارات
ww

الله تعالى، يحفّظون آياته، ويعلّمون تلاوته، وينفون عنه اللحن، ويقوّمون النطق به والألسُنَ، ووضعوا لترتيل كتاب الله قواعد تجويديّة، ونبّهوا عن الأخطاء الجليّة والخفيّة، ومن هنا كان لزاما على من رام تلاوة كتاب الله حق تلاوته، أن يتعلّم قواعد الترتيل فيتقنها، وأن يتعرّف على مواضع اللحن وأسبابه فيجتنبها، فيجمع بذلك بين الخيرين، وينال بفضل الله الأجرين.

وإن كان المطلوب الأول؛ أي قواعد الترتيل، قد كثر فيه التأليف، وتعدّد فيه التصنيف، فإن المطلوب الثاني؛ أي معرفة مواضع اللحن وأسبابه، خاصة ما تعلق منه بباب الوقف، لا يزال بحاجة إلى كثير من العناية والبسْط، ومنه يمكن طرح الإشكالية الآتية: **ما مواضع اللحن في الوقف وأثر ذلك في تغيير المعنى؟**

وفي هذا البحث سنحاول الإجابة على هذه الإشكالية.

أولا: تعريف اللحن لغة واصطلاحا

1- التعريف اللغوي للحن:

تعدّدت معاني كلمة اللحن في معاجم اللغة:

ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (لحن): اللام والحاء والنون له بناءان: يدل أحدهما على إمالة شيء من جهته، ويدل الآخر على الفطنة والذكاء.

فأما اللحْن بسكون الحاء فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، يُقال لحن لحنا، وهذا عندنا من الكلام المولَّد، لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة.

ومن هذا الباب قولهم: هو طيب اللحن، وهو يقرأ بألحان، وذلك أنه إذا قرأ كذلك أزال الشيء عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في ترنّمه.

ومنه أيضا اللحن: فحوى الكلام ومعناه، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** ﴾ (محمد 31)، وهذا هو الكلام المُوَرَّى به، المزال عن جهة الاستقامة والظهور. [1]

وذكر ابن منظور في لسان العرب: (لحن): اللحن من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه اللحان ولحون، ولحن في قراءته إذا غرّد وطرّب فيها بألحان، وفي الحديث: « اقرءوا القرآن بلحون العرب»[2]، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم غناء، واللحن واللحان واللحانية: ترك الصواب في القراءة والنشيد، ونحو ذلك.

المنارة للاستشارات
ww

والتلحين التخطئة، ولحن له يلحن لحنا، قال له قولا يفهمه عنه ويخفي على غيره، لأنه يُميله بالتورية عن الواضح المفهوم، ومنه قولهم لحن الرجل فهو لَحِنٌ إذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره. [3]

من خلال النظر في هذين التعريفين، يمكن أن نخلص بأن للحن في اللغة ستة معانٍ وهي:

1- اللحن بمعنى الخطأ ومجانبة الصواب في العربية.

2- اللحن بمعنى تحسين الصوت والتغني والنشيد.

3- اللحن بمعنى فحوى الكلام ومعناه.

4- اللحن بمعنى التعريض والتورية في الكلام.

5- اللحن بمعنى الميل إلى الشيء أو عنه.

6- اللحن بمعنى الفطنة وسرعة الفهم.

والذي يعنينا من هذه المعاني في دراستنا هو الأول، أي " اللحن بمعنى: **الخطأ ومجانبة الصواب في العربية** "

2- **التعريف الاصطلاحي للحن:**

أجمع علماء القراءة على أن اللحن في الاصطلاح ينقسم إلى قسمين: لحن جليٌّ ولحن خفيٌّ، ثم عرفوا كلاً منهما، وذكروا ما يميّز كل نوع عن الآخر، حيث أنك لا تكاد تجد تعريفا اصطلاحيا عاما للحن عند المتقدمين؛ إلا ما يمكن أن نستشفه من كلام الإمام ابن الجزري في النشر إذ قال: " والصحيح أن اللحن فيهما - يقصد نوعي اللحن - خلل يطرأ على الألفاظ فيُخِلَّ"[4].

ومنه يمكن القول أن اللحن في الاصطلاح هو: "الإخلال والخطأ في تلاوة ألفاظ القرآن الكريم".

وقد اختلف القراء في تعريف نوْعَي اللحن على أوجه، ومن أدق وأوجز التعاريف ما ذكره الإمام ابن مجاهد؛ إذ قال: " اللحن في القراءة لحنان: جليّ وخفيّ.

فالجليّ: ترك الإعراب، والخفيّ: ترك إعطاء الحرف حقّه من تجويد لفظه ". [5]

ومع دقة تعريف الإمام ابن مجاهد إلا أن تعريفه للحن الجليّ يشوبه الإبهام في كلمة (الإعراب)، فإن قصد بها المعنى الاصطلاحي للإعراب بأنه: " اختلاف أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه "[6]، فهذا فيه نقص كبير؛ لأن اللحن الجليّ لا يقتصر على الإخلال بأواخر الكلم، بل قد يكون الإخلال في أول الكلم وأوسطه، أو بزيادة الحروف ونقصانها.

المنارة للاستشارات
ww

وإن قصد به الإعراب لغةً بأنه: " الإبانة والإفصاح عن الشيء "[7]، فهذا حسن، رغم أن فيه نوعا من الاتّساع.

وعليه يمكن وضع تعريف شامل لنوعي اللحن بالقول: " اللحن الجليّ هو الخطأ الظاهر في تلاوة ألفاظ القرآن المتعلق بالحروف والحركات، سواء أخلّ بالمعنى أم لم يخلّ به، واللحن الخفيّ هو الخطأ المخلّ بحسن القراءة وجمالها ".

وبذلك يقسَّم اللحن الجليّ إلى قسمين:

أ- قسم فيه إخلال بالمعنى: كرفع التاء أو كسرها في قوله تعالى: ﴿ **أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ (الفاتحة 07).

ب- قسم ليس فيه إخلال بالمعنى: كرفع الهاء أو نصبها في قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ (الفاتحة 02).

تنبيه: عدّ كثير من علماء التجويد الخطأ في الوقف والابتداء من قبيل اللحن الجلي، وهذا أمر حسن، لأنه قد يكون الخطأ في الوقف والابتداء أشدَّ شناعة من الخطأ في الحروف والحركات، إذا ما أفسد المعنى، أو أوهم معنى غير مراد، وهذا ما سوف نجلّيه من خلال ثنايا هذا البحث.

ثانيا: تعريف الوقف وذكر أنواعه

الوقف فن جليل من فنون علم التجويد، ومعرفة أحكامه ضرورة هامه للصيانة من اللحن في التلاوة، وقد كان للسلف رضوان الله عليهم عناية بالغة به، قال ابن عمر رضي الله عنه: " لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليُؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأينا اليوم رجال يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمِره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده، وكل حرف منه ينادي: أنا رسول الله إليك لتعمل بي ". [8]

وقال علي رضي الله عنه: " الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف ". [9]

والوقف لغة: الإمساك عن الشيء، واللف والمنع، ويجمع على وقوف وأوقاف. [10]

وفي الاصطلاح: قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمنا يُتنفس فيه عادة، مع قصد الرجوع إلى القراءة، وقلنا زمنا يتنفس فيه عادة لإخراج السكت؛ وهو قطع الصوت برهة وجيزة أثناء القراءة من غير تنفس، وقلنا مع قصد الرجوع إلى القراءة لإخراج القطع؛ وهو قطع الصوت بنية الانصراف عن القراءة بالكلية. [11]

المنارة للاستشارات
ww

واختلف أهل الفن في أقسام الوقف، فمنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام، ومنهم من قسمه إلى أربعة أقسام، ومنهم من قسمه إلى ستة أقسام، ومنهم من قسمه إلى ثمانية أقسام[12]، وخير هذه الأقوال وأشهرها، ما اختاره الإمام الداني، ووافقه عليه الإمام ابن الجزري، في أن أقسام الوقف أربعة: تامٌ مختار، كافٍ جائز، حسنٌ مفهوم، وقبيحٌ متروك.[13]

1- **الوقف التام:** وهو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده، [14]

2- **الوقف الكافي:** وهو الذي يحسن الوقف عليه أيضا والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ.[15]

3- **الوقف الحسن:** وهو الذي يَحسُن الوقف عليه ولا يَحسُن الابتداء بما بعده، لتعلقه بما بعده من جهة اللفظ والمعنى جميعا.[16]

4- **الوقف القبيح:** وهو الذي لا يعرف المراد منه،[17] ولا يجوز تعمد الوقف عليه إذا غير المعنى أو نقَضه[18]، وهو ما يعنينا في هذه الدراسة، كونه يُعدّ من باب الخطأ، ويجب على القارئ تركه وتجنبه.

وقبل أن نخوض في تفصيل ذلك، حريٌّ بنا أن ننبّه إلى أهمية الوقف في تحديد المعاني وإيضاحها.

المطلب الأول: أهمية الوقف في فهم معاني القرآن ومعرفة مقاصده

إن لمعرفة الوقف أهمية بالغة في فهم كلام الله تعالى، ومعرفة مراده، من: أمرٍ أو زجرٍ أو بيانٍ أو هدايةٍ... إلخ، فدون وقفٍ لا يمكن تمييز هذه المعاني، بل قد يختلط بعضها ببعض، كما أن للقرآن الكريم مقاصد جليلة وموضوعاتٍ عظيمة، من: توحيد وبعث ونبوّات وأحكام وأخلاق ونحوها، لا تتميز عن بعضها البعض إلا بالوقوف التامة، وفي تضاعيفها تكمن الوقوف الكافية والحسنة.

قال الإمام السخاوي: " وقد اختار العلماء وأئمة القراء تبيين معاني كلام الله عزّ وجلّ وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف منها على المعنى، مفصّلا بعضه عن بعض، وبذلك تُلَذّ التلاوة، ويحصُل الفهم والدراية، ويتضح منهاج الهداية ".[19]

وروى الإمام الداني عن ميمون بن مهران أنه قال: " إني لأقشعر من قراءة أقوام، يرى أحدهم حتما عليه ألا يقصّر على العشر، إنما كانت القراء تقرأ القصص إن طالت أو قصرت، يقرأ أحدهم اليوم: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾ (البقرة 11)، ويقوم في الراحة الثانية فيقرأ: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ (البقرة 12).

المنارة للاستشارات
ww

قال الإمام الداني معلقا: " فهذا يبيّن أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتجنبون القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض، ويتعلق آخره بأوله، لأن ميمون بن مهران إنما حكى ذلك عنهم، إذ هو من كبار التابعين، ولقد لقي جماعة منهم، فدل جميع ما ذكرناه على وجوب استعمال القطع على التمام، وتجنب القطع على القبيح، وحض على تعليم ذلك وعلى معرفته ". [20]

وقال ابن الطحان: " فبإحسان الوقف تتبدّى للسامع فوائده الوافرة، ومعانيه الفائقة، وتتجلّى للمنتجع[21] مقاصده الباهرة، ومناحيه الرائعة ". [22]

وإبرازا لأهمية الوقف في إيضاح المعنى، ودفع الإبهام واللبس، يرى بعض أهل العلم - في حالة تنازع اللفظ والمعنى في وقف - تغليبَ المعنى دفعا للإبهام واللبس، ويطلقون على هذا النوع وقْفَ البيان أو وقْفَ التمييز، ويمثلون له بقوله تعالى: ﴿ **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾ (الفتح 09)، فيوقَف على **(توقروه)**، ويُبتدأ بـ **(تسبحوه)**، لأن التسبيح لا يكون إلا لله عزّ وجلّ، فلو وصل لأوهم اشتراك الرسول فيه. [23]

قد اتضح جليا من خلال هذه النصوص أهمية الوقف في تحديد معاني القرآن وتجلية مقاصده، وعليه فإنه مما لا شك فيه أن الإخلال بالوقوف، أو عدم مراعاتها، سيوقع القارئ في الخطأ واللحن، وهذا ما سنتناوله في المحور الآتي.

المطلب الثاني: الوقف القبيح

سبق وأن عرّفنا الوقف القبيح بأنه الوقف الذي لا يفهم المراد منه، لتعلقه اللفظي بما قبله، أو أنه يُفضي إلى معنى فاسدٍ أو مستقبحٍ، وهذا لتعلقه المعنوي بما قبله، وعلى هذا يمكننا تقسيم الوقف القبيح إلى قسمين: ما يكون بسبب التعلق اللفظي، وما يكون بسبب التعلق المعنوي.

أولا: الوقف القبيح بسبب التعلق اللفظي

لقد عدّد الإمام ابن الأنباري كل ما لا يوقف عليه بسبب تعلقه اللفظي بما بعده فقال: "اعلم أنه لا يتم الوقف على المضاف دون ما أضيف إليه، ولا على المنعوت دون النعت، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرافع، ولا على الناصب دون المنصوب، ولا على المنصوب دون الناصب، ولا على المؤكد دون التوكيد، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، ولا البدل دون مبدله، ولا إنّ أو كان أو ظنّ وأخواتها دون أسمائها، ولا اسمها دون خبرها، ولا المستثنى منه دون الاستثناء، ولا الموصول دون صلته، ولا الفعل دون مصدره، ولا الحرف دون متعلقه، ولا شرط دون جزائه ". [24]

المنارة للاستشارات
ww

مثاله قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ (الأعراف 137)، الوقف على **(كلمة)** والابتداء بـ **(ربك)** قبيح، لأن فيه فصل للمضاف عن المضاف إليه، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ (البقرة 69)، الوقف على **(بقرة)** والابتداء بـ **(صفراء)** قبيح، لأن فيه فصل للمنعوت عن نعته، ويقاس على هذا كل المتعلقات اللفظية السالفة الذكر.

ثانيا: الوقف القبيح بسبب التعلق المعنوي

وله عدة أوجه أهمها:

1- **ما فيه فساد معنى يتعلق بقدسية الله تعالى أو عقيدة المؤمن:**

وهو أقبح القبيح وأشده شناعة، ويكفُر من تعمّده، [25] وله أوجه متعددة كذلك:

أ- **الوقف الذي يوهم اتّصاف الله عزّ وجلّ بما لا يليق به:** ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء 94)، الوقف على **(أبعث)** والابتداء بـ **(الله بشراً)**.

- وقوله تعالى: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة 258)، الوقف على **(فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ)**.

ب- **الوقف على المنفي الذي يأتي بعده حرف الإيجاب (إلا):** ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران 06)، وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (المائدة 73)، فالوقف على لفظ الجلالة **(إله)** في المثالين يُعدّ نفياً للألوهية، وإنما كان المقصود نفي ما عُبد من غير الله عزّ وجلّ بالحصر الذي يأتي بعد **(إلا)**.

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء 107)، فالوقف على **(وما أرسلناك)** يُفضي إلى نفي رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

ج- **فصل أقوال الكفار والمكذبين عن مقولها:** ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ (آل عمران 181)، الوقف على **(قالوا)** والابتداء بـ **(إن الله فقير)**.

- وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة 72)، وقوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ (المائدة 73)، الوقف على **(قالوا)** والابتداء بـ **(إن الله هو المسيح)**، أو **(إن الله ثالث ثلاثة)**.

المنارة للاستشارات
ww

2- **الوقف في الآيات التي فيها مقابلة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين بما يوهم اشتراكهما في الجزاء:** ومن أمثلة ذلك الوقف:

- قوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** ﴾ (المائدة 09-10).

- وقوله تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ** ﴾ (الرعد 18).

فمثل هذه الوقوف وقوفٌ قبيحة، تفسد معنى كلام الله تعالى، وتفضي إلى نقيض مراده، ففي كل هذه الآيات مقارنة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكفار، أو جزاء الطائعين وجزاء العصاة، وإذا ما وقف القارئ على مثل هذه الوقوف، أوهم استواء الفريقين في الجزاء، إذ أن تمام المعنى يكمن في ذكر جزاء كل فريق، حتى تكتمل المقارنة، وتحصل الموعظة.

3- **الوقف الذي يفضي إلى معنًى مخالف لحكم الله تعالى وتشريعه:** ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ (الأنعام 36)، الوقف على **(والموتى)** يوهم أن الاستجابة تكون من الذين يسمعون والموتى، والموتى لا يسمعون ولا يستجيبون، وإنما أخبر تعالى عنهم أنهم يُبعَثون.

- وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ** ﴾ (النساء 11)، الوقف على **(ولأبويه)** يوهم أحد حكمين: إما أخذ الأبوين النصف أيضا كالبنت، وإما اشتراك الأبوين والبنت في النصف، وكلا الحكمين باطل، لأن الحكم الشرعي الذي قررته الآية، أن للبنت نصف التركة بالوقف على **(النصف)**، أما حكم ميراث الأبوين فمستأنف بما ذُكر بعد لفظ **(ولأبويه)**.

4- **الوقف على الأسماء التي تبين نعوتها حقيقتها:** ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ (الماعون 4-5)، الوقف على قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ** ﴾ يوهم أن الله تعالى يتوعد المصلين بالويل، والمصلين اسم ممدوح محمود لا يليق به التوعُّد بالويل، وإنما خرج من جملة الممدوحين بنعته المتصل به، وهو قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾.[26]

- قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى** ﴾ (النساء 43)، الوقف على قوله تعالى: ﴿ **لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ** ﴾ يوهم أن الله تعالى نهى المؤمنين عن تأدية الصلاة، والصلاة أعظم

المنارة للاستشارات

عبادة حث الله تعالى على تأديتها والمحافظة على أوقاتها، وإنما ورد النهي عن الصلاة بنعتها المتصل بها، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْتُمْ سُكَارَى** ﴾.

ثالثا: الوقف على رؤوس الآي المتعلقة بما بعدها

سبق وأن قرّرنا بأن فصل الكلام المتعلق بعضه ببعض تعلقا لفظيا أو معنويا يُعدّ من قبيل الوقف القبيح، لكن ما يطرح الإشكال أن يكون هذا الفصل برأس آية، وبين الآيتين تعلق كبير، كالوقف على قوله تعالى: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ (الحجر 92)، والابتداء بـ ﴿ **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (الحجر 93)، والوقف على قوله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (البقرة 219)، والابتداء بـ ﴿ **فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾ (البقرة 220)، بل قد يكون الوقف بين الآيتين مفسدا للمعنى مغيرا للمراد، كالوقف على قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ** ﴾ (الماعون 04)، والابتداء بـ ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ (الماعون 05)، والوقف على قوله تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ** ﴾ (الصافات 151)، والابتداء بـ ﴿ **وَلَدَ اللَّهُ** ﴾ (الصافات 152).

فقد أدى هذا الأمر إلى وقوع الخلاف بين أهل العلم في الوقوف على رؤوس الآي على ثلاثة أقوال:

القول الأول: جواز الوقف على رؤوس الآي والابتداء بما بعدها مطلقا، سواء كان بين الآيتين تعلق لفظيٌّ أو معنويٌّ أو لم يكن، بل حتى لو كان الوقف عليها أو الابتداء بها يؤدي إلى معنى فاسد، كالوقف على **(فويل للمصلين)**، أو الابتداء بـ **(ولد الله)**.

وهذا المذهب هو أحب المذاهب إلى الإمام أبي عمرو البصري، واختاره أكثر أهل الأداء، والذين ينتحلون هذا المذهب يعتبرون الوقف على رؤوس الآي مطلقا سنة، يثاب القارئ على فعلها. [27]

واستدل أصحاب هذا القول بحديث أم سلمة رضي الله عنها، لما سُئلت عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ يقطع قراءته آية آية،

يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم يقف، ثم يقول الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، ثم يقول الرحمن الرحيم، ثم يقف". [28]

وفي رواية قالت: " قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، يقطع قراءته آية آية ". [29]

ووجه دلالة الحديث على هذا المذهب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على **(العالمين)**، وعلى (الرحيم)، ففصل بين الموصوف وصفاته، مع ما بينهما من وثيق الصلة ووشيج الارتباط.

المنارة للاستشارات

القول الثاني: جواز الوقف على رؤوس الآي إذا لم يكن هناك ارتباط لفظي أو معنوي، أو لم يكن في الوقف والابتداء إيهام بخلاف مراد كلام الله تعالى.

فإذا كان هناك ارتباط لفظي برأس الآية وما بعدها كقوله تعالى: ﴿ **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ (المطففين 4-5)، أو كان الوقف على رأس الآية سليما لكن الابتداء يوهم معنى فاسد كقوله تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ** ﴾ (الصافات 151-152)، فإنه يجوز للقارئ الوقف على رأس الآية عملا بالحديث واتّباعا للسنة، لكنه يتعيّن عليه أن يرجع فيصل بين الآيتين مراعاة للتعلق اللفظي، أو دفعا لتوهم المعنى الفاسد.

وأما إذا كان الوقف على رأس الآية يوهم معنى فاسدًا كالوقف على **(فويل للمصلين)**، فلا يجوز الوقف حينئذ، بل يتعين الوصل، دفعا لتوهم المعنى الفاسد، ومسارعة إلى بيان المعنى المقصود. [30]

القول الثالث: أن حكم الوقف على رؤوس الآي كحكمه على غيرها مما ليس برأس آي، فينظر إلى ما بعد رأس الآية من حيث التعلق اللفظي والمعني، أو فساد المعنى عند الوقف والابتداء، فإن كان هناك تعلق أو فساد معنى فلا يجوز الوقف على رأس الآية، وإن لم يكن جاز الوقف.

فعلى هذا القول ليس ثَمّة فرق بين رأس الآية وغيره من حيث الوقف وعدمه، ولهذا وضع أصحاب هذا المذهب علامات الوقف المختلفة فوق رؤوس الآي، كما وضعوها فوق غيرها مما ليس برأس آية. [31]

وهذا القول هو اختيار الإمام نافع، الذي يراعي محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى، كما ورد النص عنه بذلك. [32]

والذي يرجّح من هذه الأقوال - والله أعلم - هو القول الأول؛ بأن الوقف على رؤوس الآي سنة، لحديث أم سلمة رضي الله عنها في وصف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما في ذلك من فوائد أهمها:

1 - مراعاة الفواصل القرآنية:

الفواصل القرآنية من أبرز مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وسمُوّ بلاغته وبيانه، لما لها من تأثيرٍ في أسماع المتلقين، وشدٍّ لانتباههم، وتحريكٍ لقلوبهم، فمن السور من سارت على فاصلة واحدة من أولها إلى آخرها، كما هو الحال في سورة الأحزاب على طولها، ومن السور من تتغير فيها الفاصلة على قصرها، كسورة العاديات والقارعة، وهذا لغاية بلاغية عظيمة، فإذا لم يقف القارئ على رؤوس الآي مراعاة للمعنى، فقد يقصر في هذه الحكمة المقصودة في نظم كتاب الله تعالى.

المنارة للاستشارات

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: " وأعلم أن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز، لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسماع، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع، فإن قوله تعالى: ﴿ **إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ** ﴾ (غافر 71)، آية، وقوله: ﴿ **فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** ﴾ (غافر 72)، آية، وقوله: ﴿ **ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ** ﴾ (غافر 73)، آية، وقوله: ﴿ **مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ (غافر 74) إلى أخر الآيات، فقوله: **(في الحميم)** متصل بقوله (يُسحبون)، وقوله (من دون الله) متصل بقوله (تشركون)، وينبغي الوقف عند كل آية منها. [33]

2 - **مراعاة نفس القارئ والتيسير عليه:**

والتيسير مقصد أصيل من مقاصد الشريعة، وأينما حلّ العسر والمشقة جاء التشريع بالتيسير ورفع الحرج، فلو ألزمنا القارئ بالوقوف على كمال المعنى دون رؤوس الآي، لكان في الأمر مشقة على نفَس القارئ في العديد من المواضع القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿ **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ (البقرة 2-4)، فكلها أوصاف للمتقين، والكلام مرتبط ببعضه.

وفي الوقف على رؤوس الآي مطلقا توسعة وراحة للتالي، تغنيه عن وصل الآية الطويلة المتعلق بعضها ببعض، وتغنيه على أن يقف على الكلمة ثم يعيدها، حتى يصل إلى الوقف التام أو الكافي فيقف عنده. [34]

وهذا المذهب هو اختيار كثير من أئمة الأداء كأبي عمرو الداني وابن الجزري وغيرهم.

قال الإمام الداني: " ومما ينبغي له أن يقطع عليه رؤوس الآي، لأنهن في أنفسهن مقاطع، وأكثر ما يوجد التام فيهن، لاقتضائهن تمام الجمل، واستيفاء أكثرهن انقضاء القصص، وقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع عليهن، وإن تعلق كلام بعضهن ببعض، لما ذكرنا من كونهن مقاطع، ولَسْنَ بمشبهات لما كان من الكلام التام في أنفسهن دون نهايتهن ". [35]

ويستثنى من هذا الوقف على قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ** ﴾ (الماعون 04)، وهذا لظهور وبيان قبح المعنى وشناعته، كما أنها آية قصيرة لا تكلف القارئ نفَسا طويلا إذا ما وُصلت بما بعدها.

فإذا ما جمعنا بين استحباب الوقوف على رؤوس الآي - مع الخلاف الجاري فيه - وقبح المعنى عند هذا الوقف، يرجّح قبح المعنى، فالأولى اجتنابه، وقد نبه أغلب أئمة الأداء على قبح هذا الوقف، مع ترجيحهم تصريحا أو تلميحا إلى سنّيّة الوقوف على رؤوس الآي.

المنارة للاستشارات
ww

وإنما قلنا بترجيح مذهب الوقوف على رؤوس الآي لأنه الأسلم، لاعتماده على مواضع الآيات، التي أجمع أهل العلم على وقفيتها، بخلاف لو استندنا في تحديد الوقف على المعنى فقط، فإن الأفهام تختلف من عالِم لآخر، وإدراك المعاني متفاوت بين مفسر وآخر، ما يؤدي إلى وقوع الخلاف بين أهل العلم في تحديد الوقوف.

كما أن ترك تحديد الوقوف للمعاني، جعل بعض أهل العلم يضعون وقوفا لازمة، ويحذرون من وقوف قبيحة حسب رأيهم، وهي ليست بذلك، بل لا تعدو أن تكون مجرد وهم أو تصور بعيد المرامي لا أكثر، وقد علق ابن الجزري على كثير من الوقوف التي وضعها الإمام السجاوندي بأنها توهم فقال: "قول أئمة الوقف: لا يوقف على كذا معناه أن لا يُبتدأ بما بعده، إذ كل ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده، وقد أكثر السجاوندي من هذا القسم وبالغ في كتابة (لا)، والمعنى عنده لا تقف، وكثير منه يجوز الابتداء بما بعده، وأكثره يجوز الوقف عليه، وقد توهم من لا معرفة له من مقلدي السجاوندي أن منعه من الوقف على ذلك يقتضي أن الوقف عليه قبيح، أي لا يحسُن الوقف عليه، ولا الابتداء بما بعده، وليس كذلك ". [36]

بل إن فتح باب تحديد الوقف استنادًا للمعاني على مصراعيه، دفع بالبعض إلى تعسّف وقوفٍ مُجَانبة للصواب، سعيا منهم إلى إثبات بعض المعاني الخفيّة، أو دفعا لبعض المعاني الخاطئة في نظرهم، وهذا ما سنعرفه في الفقرة الموالية.

رابعا: الوقف التعسفي

قال ابن الجزري: " ليس كل ما يتعسّفه بعض المعربين، أو يتكلّفه بعض القراء، أو يتأوّله بعض أهل الأهواء، مما يقتضي وقفا وابتداء ينبغي أن يُتعمّد الوقف عليه، بل ينبغي تحري المعنى الأتم، والوقف الأوْجَه ". [37]

وسنقدم بعض الأمثلة على هذه الوقوف:

1- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (البقرة 6)، يقف على **(أم ألم تنذر)**، ويبتدئ بـ **(هم لا يومنون)**، على أنها جمله من مبتدأ وخبر، قال الإمام الأشموني: " وهذا ينبغي أن يُردّ ولا يُلتفت إليه "[38].

2- قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا** ﴾ (النساء 62)، يقف على **(يحلفون)**، ويبتدئ بـ **(بالله إن أردنا)**، ومثله قوله

المنارة للاستشارات
ww

تعالى: ﴿ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾ (الأعراف 133)، يقف على **(ربك)**، ثم يبتدئ بـ **(بما عهد عندك)**، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان 13)، يقف على **(لا تشرك)**، ثم يبتدئ بـ **(بالله إن الشرك لظلم عظيم)**، وفي كل هذه الأمثلة يجعل الباء حرف قسم، وذلك خطأ، لأن باء القسم لا يُحذف معها الفعل، بل متى ما ذُكرت الباء تعيَّن الإتيان بالفعل كقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ (النحل 38)، ولا تجد الباء مع حذف الفعل.[39]

3- قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ (القصص 68)، يقف على **(يشاء)**، ويبتدئ بـ **(ويختار ما كان لهم الخيرة)**، على أن **(ما)** موصولة وليست نافية.

فهذه بعض الأمثلة عن وقوف فيها من التعسف والتكلف ما لا يخفى، ولا فائدة تُرجى من ورائها، بل إن بعضها لا يعدو أن يكون عبثا بكلام الله تعالى، وتلاعبا بمعاني القرآن، واتّباعا للأهواء لا أكثر، فلينتبه القارئ لمثل هذه الوقوف، وليكن منها على حذر.

المطلب الثالث: وقفة مع الوقف الهبطي

تعتمد غالب مصاحف المغاربة برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق الوقف الهبطي، وقد ثار جدل واسع بين العلماء حول هذا الوقف، خاصة ما انفرد به الإمام وخالف فيه من سبقه من أئمة هذا الفن، وما زاد الجدل حدّةً أن الإمام لم يترك مؤلَّفا يبيّن فيه اختياراته ويعلّل فيه وقوفَه، ما جعله وقوفه عرضة للتحليل والتأويل.

والوقف الهبطي هو الوقف الذي يُنسب إلى الإمام أبي جمعة الهبطي[40]، والذي لم يكتب مؤلفا في الوقوف التي اختارها، ليبيّن فيها وجه ما اختاره وعلَلَه، وقد نُسِب إلى الإمام الهبطي كتاب (تقييد وقف القرآن)، كما ذهب إليه صاحب شجرة النور الزكية، إلا أن الراجح من الأقوال ما ذكره كثير من المحققين أن هذا الكتاب من جمع طلبته، لا من تأليفه، فالشيخ كان جُلُّ اشتغاله بالتعليم، ما جعله لا يهتم بالتأليف، ولا يُعنى بأيٍّ من العلوم الأخرى، فقد اعتنى الإمام ببيان الوقوف عمليا، فنقلها عنه تلاميذه وأشاعوها.

وقد وضع الإمام الهبطي وقوفه لما انتشر في زمانه من لحن في التلاوة، وخطأ في الأداء على ألسنة الناس، فكانوا يقفون على ما لا ينبغي الوقف عليه، ويصلون ما لا يجوز وصله، فيفسد بذلك المعنى ويتغير المراد.

المنارة للاستشارات
ww

وبنى الإمام الهبطي مذهبه في الوقف على مراعاة الإعراب والمعنى في الوقف والابتداء، وربما كان بعضه خاضعا لنكتٍ في التفسير، والبعض الآخر لمداركٍ في الفقه والتشريع، أو لوجهٍ من وجوه القراءات، أو لأسرارٍ وحكمٍ أخرى قد لا يدركها القارئ العادي، وإنما يعقلها العالمون المختصون في هذا الفن. [41]

وأهل العلم في الوقف الهبطي على ثلاثة أقسام: قسمٌ مؤيّدٌ مغالٍ، وقسمٌ منتقدٌ مُفرطٌ، وقسمٌ معتدلٌ منصفٌ.

القسم الأول: مؤيّدٌ مُغالٍ

ارتبط الوقف الهبطي في الشمال الإفريقي بقراءة الإمام نافع وبمذهب الإمام مالك، ما جعل كثيرا من المتعصّبين لمذهب مالك أو لقراءة نافع، يغالون في الوقف الهبطي، ويعُدّونه الصواب دون غيره، ويردّون كل انتقاد أو تعقيب عليه.

بل ذهب بعضُ من كانت تكتنفه مسحة صوفية إلى أن الوقف الهبطي إنما تلقاه الإمام أبي جمعة عن ربه عزّ وجلّ، برؤية رآها في منامه، بل قيل: " أن القرآن نزل بهذه الوقوف، وأن الهبطي رأى وقوفه في اللوح المحفوظ، ومنه أخذها ". [42]

وقيل كذلك: " ولو شئتَ لقُلْتَ إن ما فعله الهبطي بجمع الناس على وقوف محددة، يكاد يشبه ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه حين جاءه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه محذرا من اختلاف الناس في القرآن، فجمعهم على مصحف واحد، نسخ منه نسخا، وفرّقها على الأمصار".[43]

القسم الثاني: منتقدٌ مُفرِطٌ

على النقيض من القسم الأول فهناك من أفرط في انتقاد الإمام الهبطي، وشنّع عليه في النكير، ورماه بالجهل باللغة العربية والتفسير، كما ذهب إليه صاحب منحة الرؤوف المعطي حين قال: " وصرحوا - يعني أئمة القراءة - بأنه لا يقوم بالوقف إلا عالم بالنحو والقراءات والتفسير والقصص، لكن الشيخ الهبطي الذي عمل الوقف، لم يقرأ هذه النصوص، ولم يكن يعرف علم العربية، ولا شيئا مما اشترطوه لصحة الوقف، بل أقدم على عملية الوقف بحسب ما ظهر له، من غير مراعاة للقواعد، فكان كثير من وقوفه من قبيل الممنوع ". [44]

ومنهم من اتهم الإمام بأنه وضع وقوفه مراعاة لأصحاب الحزب الراتب والقراءة الجماعية، ليوحّد تلاوتهم فلا تختلط عليهم، مستندين إلى أن يوسف بن عبد المؤمن الموحّدي[45] قد أمر -

المنارة للاستشارات
ww

رغم كراهة مالك لقراءة القرآن جماعة - بتأسيس قراءة الحزب في المساجد، ومُنعت قراءته بغير تجويد، وتيسيرا لذلك قام العلامة محمد بن أبي جمعة الهبطي بوصف طريقة لوقف القرآن، لم تكن معروفة في المشرق.[46]

القسم الثالث: معتدلٌ منصفٌ

وقسم ثالث وهم أكثر أهل العلم أنصفوا الإمام حقه، واعتبروه من أئمة النحو والتفسير والقراءات، إلا أن هذا لم يمنعهم من انتقاده والإيراد عليه في بعض الوقوف التي خالف فيها من سبقه من أهل الفن والأداء.

والذي يظهر - والعلم لله - أن هذا القول هو الصواب في الحكم على الوقف الهبطي، من عدة أوجه:

1- ما من عمل بشريٍّ إلا ويعتريه النقص والتقصير، فالكمال لله وحده، ولو كان الكمال في أعمال البشر لغلق باب العلم والاجتهاد في مهده، فهذا ديْدن العلماء، يستدرك بعضهم على بعض، وينتقد بعضهم بعضا، وليس ذلك إلا خدمة للعلم ورغبة في الفضل، وكما أُنتقد الإمام الهبطي في بعض اختياراته للوقف، فقد أُنتقد غيره كذلك، ولا يُنقص ذلك من شأنه، ولا شأن غيره.

2- إن أغلب وقوف الإمام الهبطي مرضيّة موافقة لوقوف من سبقه، فكان يقف على رؤوس الآي، ويقف على المعاني السليمة في الآيات الطويلة بما يوافق قواعد اللغة والقراءة، ولم يُستشكل من وقوفه إلا بعضها، لما يظهر فيها من مخالفة لأحكام القراءة وقواعد العربية.

3- إن اتهام الإمام بالجهل باللغة العربية وعلم التفسير والقراءة تجنّي كبير على الشيخ، واتهام باطل، وهذا بالرجوع إلى كل من ترجم له، فقد أجمعوا أنه كان من علماء اللغة والنحو والقراءة، بل إن الناظر في أعمال من اجتهد في إيجاد توجيهات صحيحة لما أُنتقد من وقوف الهبطي، يدرك مما لا يدع مجال للشك أن الإمام كان من بحور اللغة وأوعية النحو، واختار بعض الأوجه اللغوية في وقوفه، لا يتفطن لها إلا الحذّاق من علماء اللغة.

4- إن انتقاد الإمام بأنه وضع هذه الوقوف مراعاة للقراءة الجماعية والحزب الراتب فحسب، دون مراعاة لقواعدٍ أو ضوابطٍ، مردود على صاحبه، فعلم الإمام وزهده يحول بينه وبين أن يعتدي على كتاب الله، ويضع فيه وقوفا بغير علم، كما أنه بالرجوع إلى وقوف الإمام في بعض

المنارة للاستشارات
ww

الآيات الطوال، يفنّد زعْم مراعاته لنَفَس أصحاب القراءة الجماعية، وتوحيد تلاوتهم فحسب، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ (البقرة 164)، فيستحيل على أكثر الناس طولا في النفَس أن يقرأ هذه الآية بنَفس واحدٍ، فما بالك بجماعة.

وإذا ما سلّمنا بأن هذا الأمر كان حقيقة من دوافع الإمام الهبطي لوضع وقوفه، لما انتشر من قراءة جماعية في المساجد في وقته، ولازالت إلى الآن بالمغرب العربي، فإن ذلك لم يكن بمعزل عن علم التفسير وقواعد اللغة.

ومع تبرئتنا لساحة الإمام مما اتهم به، وإنصافه حقه وقدره، فلا يمنع هذا من انتقاده في بعض الوقوف التي جنح فيها إلى التعمية، واقتناص المعاني البعيدة، باتّباع الإعراب الخفي والتقدير البعيد، وهذا ينافي الغاية التي وضَعَ وقوفَه لأجلها، وهي التيسير على العامة، بوضع وقوف تحفظ لهم معاني القرآن، وتصونهم من اللحن فيه.

وسنورد بعض الوقوف التي أُنتقدت على الشيخ ومنها:

1- قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (البقرة 53)، وقف الإمام الهبطي على **(الكتاب)**، ففصل بين المتعاطفين بلا ضرورة.

2- قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا** ﴾ (النساء 92)، الوقف على **(خطأ)** كما هو في مصحف حفص وقالون، وزاد الإمام الهبطي الوقف على **(مؤمنا)**، ففصل بين المستثنى والمستثنى منه بدون داع.

3- قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ** ﴾ (النساء 90)، الوقف على **(قومهم)** كما هو في مصحف قالون وحفص، وجملة حصرت حال، فهو تتمة الجملة ومحل فائدتها، وقف الإمام الهبطي على **(جاؤوكم)**، ففرّق بين جزئي الجملة وضيّع فائدتها.

المنارة للاستشارات
ww

الخاتمـة:

نخلص في ختام هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1- للحن في اللغة معاني عدة، أشهرها الخطأ في العربية والصوت الحسن، أما في اصطلاح علماء التجويد فهو الخطأ والإخلال في تلاوة ألفاظ القرآن الكريم.

2- اتفق علماء التجويد على تقسيم اللحن إلى قسمين: جليّ وخفيّ، فاللحن الجليّ هو الخطأ الظاهر في تلاوة ألفاظ القرآن المتعلق بالحروف والحركات، سواء أخلّ بالمعنى أم لم يخلّ به، واللحن الخفيّ هو الخطأ المخلّ بحسن القراءة وجمالها ".

3- علم الوقف علم جليل، له أهمية كبيرة في فهم مراد الله تعالى من كلامه، كما أن الإخلال به يوقع في الخطأ واللحن، الذي قد يصل إلى درجة الجليّ إذا ما أدى إلى إفساد المعنى.

4- يُعرّف الوقف لغة بأنه: الإمساك عن الشيء، واصطلاحا بأنه: قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمنا يُتنفس فيه عادة، مع قصد الرجوع إلى القراءة.

5- يُقسَّم الوقف على أرجح الأقوال إلى أربعة أقسام: تامٌ مختار، كافٍ جائز، حسنٌ مفهوم، وقبيحٌ متروك.

6- يُعنى موضوع اللحن بالنوع الأخير؛ أي الوقف القبيح، لأنه يُعدّ من باب الخطأ، ويجب على القارئ تركه وتجنبه، لما فيه من إبهامٍ للمعنى، أو إعطاء معنى فاسدٍ أو ناقصٍ.

7- يمكن تقسيم الوقف القبيح إلى قسمين:

أ- ما لا يُفهم المراد منه لتعلقه اللفظي بما قبله: كالفصل بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره.

ب- ما يُفضي إلى معنى فاسدٍ أو مستقبحٍ لتعلقه المعنوي بما قبله: وأشنعه ما مس بقدسيّة الله عزّ وجلّ وصفاته، أو أخلّ بعقيدة المؤمن.

8- تعتمد جلّ مصاحف الشمال الإفريقي على الوقف الهبطي، المنسوب إلى الإمام أبي جمعة الهبطي الفاسي، وقد ثار جدل كبير بين العلماء حول هذا الوقف، وانقسموا في ذلك إلى ثلاث أقسام: قسمٌ مؤيّدٌ مغالٍ: تعصب للوقف الهبطي ونفى غيره، وقسمٌ منتقدٌ مُفْرِطٌ: أبطل الوقف الهبطي، ورمى إمامه بجهل العربية والتفسير، وقسمٌ معتدلٌ منصفٌ: وهو خير الأقوال، أنصف الإمام حقه، فاعتبره من أئمة النحو والتفسير والقراءات، إلا أن هذا لم يمنعه من انتقاده والإيراد عليه في بعض الوقوف التي خالف فيها من سبقه من أهل الفن، وعمد فيها إلى التعمية، واختيار بعض الأوجه الغريبة في العربية.

المنارة للاستشارات
ww

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

1- إبراز المعاني بالأداء القرآني، إبراهيم الدوسري، دار الحضارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، د. ط، س. ن: 1433هـ.

2- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، مصر، ط 1، 1427هـ/ 2006م.

3- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1424هـ/ 2003م.

4- أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، دار البشائر الإسلامية، د. ط، 1417هـ.

5- إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر بن الأنباري، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د. ط، س. ن: 1390هـ/ 1971م.

6- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، دار عمار، عمان، الأردن، ط 1: 1421هـ/ 2000م.

7- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، س. ن: 1984م، المقدمة الثامنة.

8- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1.

9- الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة.

10- جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، ت: عبد الحق عبد الدايم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1419هـ/ 1999م.

11- شرح الآجرومية، محمد بن صالح العثيمين، دار البصيرة، الإسكندرية، مصر، د. ط، س. ن: 2003م.

12- القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، دار المغرب الإسلامي، ط 1، 1410هـ/ 1990م.

13- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ.

14- معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء، محمود خليل الحصري، مكتبة السنة، مصر، ط 1، 1432هـ/2002م.

15- معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب، عبد العزيز بن عبد الله، مطبعة فضالة، المغرب، د. ط، س. ن: 1972م.

16- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د. ط، س. ن: 1399هـ.

17- المكتفى في الوقف والابتدا، أبو عمرو الداني، ت: محيي الدين عبد الرحمان، دار عمار، الأردن، ط 1.

المنارة للاستشارات
ww

18- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد الأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1393هـ/1973م.

19- منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي، أبو عبد الله الغماري، دار الطباعة الحديثة، المغرب، د. ط.

20- منهجية أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم، ابن حنفية العابدين، دار الإمام مالك، الجزائر، ط 1، 1427هـ/2006م.

21- النشر في القراءات العشر، أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط.

الهوامش:

1: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، س.ن: 1399هـ، ج5/ ص239.

2: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في ترك التعمق في القرآن، حديث رقم (2624)، وسنده ضعيف جدا، قال الذهبي حديث منكر.

3: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ، ج13/ ص379.

4: النشر في القراءات العشر، أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج1/ ص211.

5: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، دار عمار، عمان، الأردن، ط 1: 1421هـ/ 2000 م، ص 118.

6: شرح الآجرومية، محمد بن صالح العثيمين، دار البصيرة، الإسكندرية، مصر، د.ط، س.ن: 2003 م، ص 49.

7: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج2865/4.

8: أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم (101)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه.

9: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد الأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1393هـ/ 1973 م، ص 05.

10: ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج 9/ص359، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ج6/ص135.

11: ينظر: معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء، محمود خليل الحصري، مكتبة السنة، مصر، ط 1، 1432هـ/ 2002م، ص 182-183 .

12: ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، مصر، ط 1، 1427هـ/ 2006 م، ج1/ ص222-225.

13: المكتفى في الوقف والابتدا، أبو عمرو الداني، ت: محيي الدين عبد الرحمان رمضان، دار عمار، الأردن، ط 1، 1422هـ/ 2001 م، ج1/ص7، والتمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، مصدر سابق، ص165.

المنارة للاستشارات
ww

14: إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر بن الأنباري، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، س.ن: 1390هـ/ 1971 م، ج1/ص149 .

15: المكتفى في الوقف والابتدا، الداني، مصدر سابق، ص10.

16: إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر الأنباري، مصدر سابق، ج1/ص150.

17: المكتفى في الوقف والابتدا، الداني، مصدر سابق، ص 13.

18: التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، ج1/ص175.

19: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، ت: عبد الحق عبد الدايم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1419هـ/ 1999 م، ج2/ ص554 .

20: المكتفى في الوقف والابتدا، الداني، مصدر سابق، ص 05 .

21: المنتجع: من انتجعه، يطلب خيره، قال ابن فارس: " النون والجيم والعين أصل صحيح، يدل على منفعة طعام أو دواء في الجسم، ثم يُتوسع فيه، فيقاس عليه ". (معجم مقاييس اللغة ج5/ص395.(

22 : إبراز المعاني بالأداء القرآني، إبراهيم الدوسري، دار الحضارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، د.ط، س.ن: 1433 هـ، ص 114.

23: جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، مصدر سابق، ج2/ ص567.

24: إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر بن الأنباري، مصدر سابق، ج1/ ص117.

25: ينظر: المكتفي في الوقف والابتدا، الداني، مصدر سابق، ص 14.

26: المكتفى في الوقف والابتدا، الداني، مصدر سابق، ص 15 .

27: ينظر: معالم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء، الحصري، مرجع سابق، ص 50.

28: أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (2910)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرطهما من حديث أبي هريرة.

29: أخرجه أبو داوود في سننه، حديث رقم (4001)، قال الأرناؤوط: رجاله ثقات، وذكر أن هذا الحديث صح عند أبي خزيمة والدارقطني والحاكم.

30: ينظر: معالم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء، الحصري، مرجع سابق، ص 51-52.

31: المرجع نفسه، ص 53، بتصرف.

32: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، مصدر سابق، ج1/ص238.

33: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، س.ن: 1984م، المقدمة الثامنة، ج1/ ص76 .

34: ينظر: منهجية أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم، ابن حنفية العابدين، دار الإمام مالك، الجزائر، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 30.

35: المكتفى في الوقف والابتدا، الداني، مصدر سابق، ص 11.

36: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، مصدر سابق، ج1/ ص234.

37: المصدر نفسه، ج1/ ص231.

38: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، الأشموني، مصدر سابق، ج1/ ص18.

المنارة للاستشارات
ww

39: ينظر: المصدر نفسه، ج1/ ص19.

40: أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي، نسبة إلى هباطة أحد قرى سماتة بالمغرب، الإمام العالم المتصوف الزاهد القدوة التقيّ العابد، أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله العواني، والعلوم عن الشيخ أحمد رزوق، والشيخ الخروبي الكبير الطرابلسي، وعنه جماعة منهم عبد الواحد الونشريسي، توفي في ذي القعدة سنة 930 هـ. (ينظر: شجرة النور الزكية لمحمد بن سالم مخلوف، ج1/ ص400).

41: القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، دار المغرب الإسلامي، ط 1، 1410هـ/ 1990م، ص 182.

42: منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي، أبو عبد الله الغماري، دار الطباعة الحديثة، المغرب، د.ط، ص 05.

43: الوقف الهبطي ابتداع أم اتباع، عبد الحكيم دبابش، موقع شبكة القراءات القرآنية، تاريخ التصفح: 2015/10/10، ص 02.

44: منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي، أبو عبد الله الغماري، مرجع سابق، ص 04.

45: يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي، أمير المؤمنين، من ملوك دولة الموحدين بمراكش، وهو الثالث فيهم. مولده في تينملل، بويع له بعد وفاة أبيه وكان شجاعا عارفا بسياسة رعيته، له علم بالفقه، كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة، مات سنة 580هـ. (ينظر: الأعلام للزركلي، ج8/ ص241).

46: معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب، عبد العزيز بن عبد الله، مطبعة فضالة، المغرب، د.ط، س.ن: 1972م، ص 05.

المنارة للاستشارات